@ 526 @ فأجابوا بغير حجة ، جواب العاجز ، الذي ليس بيده أدنى شبهة فقالوا : ! 22 ! كذلك يفعلون ، فسلكنا سبيلهم ، واتبعناهم على عبادتها . ومن المعلوم أن فعل أحد من الخلق سوى الرسل ، ليس بحجة ، ولا تجوز به القدوة : خصوصا ، في أصل الدين ، وتوحيد رب العالمين ، ولهذا قال لهم إبراهيم مضللا للجميع : ! 2 2 ! أي : ضلال بين واضح ، وأي ضلال ، أبلغ من ضلالهم في الشرك ، وترك التوحيد ؟ أي : فليس ما قلتم ، يصلح للتمسك به ، وقد اشتركتم وإياهم في الضلال الواضح ، البين لكل أحد . ! 2 2 ! على وجه الاستغراب لقوله ، والاستفهام لما قال ، وكيف بادأهم بتسفيههم ، وتسفيه آبائهم : ! 2 2 ! أي : هذا القول الذي قلته ، والذي جئتنا به ، هل هو حق وجد ؟ أم كلامك لنا ، كلام لاعب مستهزىء ، لا يدري ما يقول ؟ وهذا الذي أرادوا . وإنما رددوا الكلام بين الأمرين ، لأنهم نزلوه منزلة المتقرر المعلوم عند كل أحد ، أن الكلام الذي جاء به إبراهيم ، كلام سفيه لا يعقل ما يقول . فرد عليهم إبراهيم ردا يبين به وجه سفههم ، وقلة عقولهم فقال : ^ (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين) ^ فجمع لهم بين الدليل العقلي ، والدليل السمعي . أما الدليل العقلي ، فإنه قد علم كل أحد حتى هؤلاء الذين جادلهم إبراهيم ، أن ا وحده ، الخالق لجميع المخلوقات ، من بني آدم ، والملائكة ، والجن ، والبهائم ، والسموات ، والأرض ، المدبر لهن ، بجميع أنواع التدبير ، فيكون كل مخلوق مفطورا مدبرا متصرفا فيه ، ودخل في ذلك ، جميع ما عبد من دون ا . أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقل وتمييز ، أن يعبد مخلوقا متصرفا فيه ، لا يملك نفعا ، ولا ضرا ، ولا موتا ، ولا حياة ، ولا نشورا ، ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر ؟ أما الدليل السمعي : فهو المنقول عن الرسل ، عليهم السلام ، فإن ما جاؤوا به معصوم لا يغلط ولا يخبر بغير الحق ، ومن أنواع هذا القسم شهادة أحد من الرسل على ذلك فلهذا قال إبراهيم : ! 2 2 ! أي : أن ا وحده المعبود وأن عبادة ما سواه باطل ! 2 2 ! وأي شهادة بعد شهادة ا أعلى من شهادة الرسل ؟ خصوصا أولي العزم منهم خصوصا خليل الرحمن . ولما بين أن أصنامهم ليس لها من التدبير شيء أراد أن يريهم بالفعل عجزها وعدم انتصارها وليكيد كيدا يحصل به إقرارهم بذلك فلهذا قال : ! 2 2 ! أي : أكسرها على وجه الكيد ! 2 2 ! عنها إلى عيد من أعيادهم ، فلما تولوا مدبرين ، ذهب إليها بخفية . ! 2 2 ! أي : كسرا وقطعا ، وكانت مجموعة في بيت واحد ، فكسرها كلها . ! 2 2 ! أي : إلا صنمهم الكبير ، فإنه تركه لمقصد سيبينه . وتأمل هذا الاحتراز العجيب ، فإن كل ممقوت عند ا ، لا يطلق عليه ألفاظ التعظيم

، إلا على وجه إضافته لأصحابه ، كما كان النبي صلى ا عليه وسلم إذا كتب إلى ملوك الأرض المشركين يقول : (إلى عظيم الفرس) (إلى عظيم الروم) ونحو ذلك ، ولم يقل (إلى العظيم) . وهنا قال تعالى : ! 2 2 ! ولم يقل (كبيرا من أصنامهم) . فهذا ينبغي التنبه له ، والاحتراز من تعظيم ما حقره ا ، إلا إذا أضيف إلى من عظمه . وقوله : ! 22 ! أي : ترك إبراهيم تكسير صنمهم هذا لأجل أن يرجعوا إليه ، ويستملوا حجته ، ويلتفتوا إليها ، ولا يعرضوا عنها ولهذا قال في آخرها : ! 2 2 ! . فحين رأوا ما حل بأصنامهم من الإهانة والخزي ! 2 2 ! فرموا إبراهيم بالظلم الذي هم أولى به حيث كسرها ولم يدروا أن تكسيره لها من أفضل مناقبه ومن عدله وتوحيده ، وإنما الظالم من اتخذها آلهة ، وقد رأى ما يفعل بها ! 2 2 ! أي : يعيبهم ويذمهم ، ومن هذا شأنه لا بد أن يكون هو الذي كسرها أو أن بعضهم سمعه يذكر أنه سيكيدها ! 2 2 ! فلما تحققوا أنه إبراهيم ! 2 2 ! أي : بإبراهيم ! 2 2 ! أي : بمرأى منهم ومسمع ! 2 2 ! أي : يحضرون ما يصنع بمن كسر آلهتهم ، وهذا الذي أراد إبراهيم وقصد أن يكون بيان الحق بمشهد من الناس ليشاهدوا الحق وتقوم عليهم الحجة ، كما قال موسى حين واعد فرعون ! 2 2 ! . فحين حضر الناس وأحضر إبراهيم قالوا له : ! 2 2 ! أي : التكسير ! 2 2 ! ؟ وهذا استفهام تقرير ، أي : فما الذي جرأك ، وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر ؟ فقال إبراهيم والناس مشاهدون ! 2 2 ! أي : كسرها غضبا عليها ، لما عبدت معه ، وأراد أن تكون العبادة منكم لصنمكم الكبير وحده . وهذا الكلام من إبراهيم ، المقصد منه إلزام الخصم وإقامة الحجة عليه . ولهذا قال : ! 2 2 ! ، وأراد : الأصنام المكسرة اسألوها لم كسرت ؟ والصنم الذي لم يكسر ، اسألوه لأي شيء كسرها ، إن كان عندهم نطق ، فسيجيبونكم إلى ذلك ، وأنا وأنتم ، وكل أحد يدري أنها لا تنطق ولا تتكلم ، ولا تنفع ولا تضر ، بل ولا تنصر نفسها ممن يريدها بأذى . ! 2 2 ! أي : ثابت إليهم عقولهم ، ورجعت إليهم أحلامهم ، وعلموا أنهم ضالون في عبادتها ، وأقروا على أنفسهم بالظلم والشرك . ! 2 2 ! فحصل بذلك المقصود ، ولزمتهم